أهمية الحوار

الكاتب : محمود صالح

التاريخ : ١٨ سبتمبر ٢٠١٣ م

المشاهدات : 6025

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على معلم القرآن سيدنا محمد، من أخرج العباد من ظلمات الجهل إلى نور العلم، من كان بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا، من جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلُّوا عليه عبادَ الله وسلِّموا؛ فإن الله وملائكته يصلون على النبي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56].

الحوار - إخواني - هو مراجعة الكلام بين طرفين مختلفين، مع تقديم الحجج والبراهين لإقناع أحدهما الآخر، أو لتقريب وجهات النظر بينهما.

كما جرى ذلك بين الخليل إبراهيم - عليه السلام - والنمرود؛ قال ربنا الرحمن: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إبراهيم فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إبراهيم فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [البقرة: ٢٥٨]

فتبادل إبراهيمُ الحوارَ مع النمرود حتى غلب إبراهيمُ النمرودَ بالحجة الظاهرة.

وعلى هذا فالحوار هو السبيل الأوحد لإقناع المخالف، ومفتاح قلبه لطريق الحق، كما أن الحوار هو أسلوب التواصل والتفاهم بين الناس، ووسيلة التعارف والتآلف بينهم، ومنهج الدعوة والإصلاح في مجتمعهم، ومسلك التربية والتعليم لنشئهم وأجيالِهم، ومجمَعُ التقارب والالتقاء فيما بينهم.

لولاه لما انتهت الحروب بين الناس، ولهاجت أفعالُ الجاهلية والفساد في المجتمعات، ولعل حرب البسوس التي دارت رحاها بين قبيلتي داحس والغبراء أربعين سنة لم تنتجْ لهم فيها ناقة لاشتغالهم بالحرب حتى إذا أنهكهم القتال، جلَسوا ليتحاوروا، وتم بينهم الصلح، ولو كانوا جلسوا للحوار من قبل تلك السنوات لَمَا خسروا تلك الخسارة الفادحة، التي نالتهم في المال والنفس والحرثِ والماشية.

فمقصود من الحوار إخواني بيان الحق دون خسائر أو إهانة لأحد الطرفين، وحتى يؤتي الحوار ثماره -إخواني- بين

المتخاصمين؛ لا بد أن يتسم مجلس الحوار بآداب تندثر وتغيب فوائد الحوار المرجوة هو الوصول إلى الحق على قدر التفريط في تلك الآداب.

آداب الحوار:

١- وأول تلك الآداب أن تكون نية كل من المتحاورين إظهار الحق، لا إظهار الهوى والنفس؛ فقد يتحاور الرجل من أجل السمعة والرياء والجدل، وإضاعة الوقت، ولإعلاء الباطل مع علمه به، وهذا الحوار لا فائدة منه، والابتعاد عنه أفضلُ.

وقد قال -صلى اللّه عليه وسلم-: ((أنا زعيم ببيت في الجنة لِمَن ترك الجدَل ولو كان محقًا)).

وإنما الواجب أن تكون النية هي معرفة الحق، وما يرضي اللّه ليس إلا، أيًا كان قائله، أنت أو مُحاورك، المهم أن تعرف ما يرضي ربَّك وما الذي ينبغي مما لا ينبغي؛ لذا كان الشافعيُّ - رحمه اللّه - يقول: "ما ناظرتُ أحدًا قط على الغلبة، ووددتُ إذا ناظرتُ أحدًا أن يظهرَ الحقُّ على يديه"، وقال: "ما كلمتُ أحدًا قط إلا وددتُ أن يوفَّق ويسدد ويُعان ويكون عليه رعاية من اللّه وحفظ".

فالأفكار الصحيحة -أخي- والمنطق ليس حكرًا على أحد، وإنما هو هبة من اللّه يعطيها من يشاء -سبحانه- ألم تسمع: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ) [البقرة: ٢٦٩]، فربما يكون الحقُّ معك مرة، وربما يكون مع غيرك مرات، والمؤمن كيِّس فطِن، أينما وجَد الحكمة أخَذها وعمل بها لتقرِّبَه من ربه؛ فالحكمة ضالة المؤمن، أينما وجَدها عمل بها.

وصدق -عليه الصلاة والسلام-: ((إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى))، هل نيتُك أن تمضي على الحق، وتعمل به بعدما يتبين لك من خصمك؟

أم أنت مبيِّت النية على أن تظل على فكرتك، وإن كانت باطلة بعدما يتبيَّن لك خلافها؟

ولا يزال العبد يُخلص في نيته في كل عمل يعمله؛ في حواره، ورد فعله، وحديثه مع الناس، حتى يستخلصَه اللّه، ويخلصه من كل فتنة ومصيبة في تلك الحياة، ولقد كان لنا في يوسف -عليه السلام- أسوة حسنة، حينما نجاه اللّهُ من امرأة العزيز: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) [يوسف: ٢٤].

٢- ثانيًا: التواضع وحُسن الخُلق عند عرض الأفكار والرؤى له أثر جميل على المستمع، فكلما كان المتحدث منتقيًا لكلماته وألفاظه السهلة المتواضعة، كان أدعى لاتِّباع رأيه والعمل به.

قال أبو أمامة -رضي اللّهُ عنه-: إن رجُلًا أتى رسُول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- فقال: ائذن لي في الزنا - يقول لِمن؟ يقول لأعز أهل الأرض على الإطلاق قال: فهمَّ مَن كان قُرب النبي -صلى اللّه عليه وسلم- أن يتناولُوهُ - بالضرب والإهانة - فقال النبي -صلى اللّه عليه وسلم-: ((ادعُوهُ))، ثُم قال لهُ النبي -صلى اللّه عليه وسلم-: ((أتُحب أن يُفعل ذلك بأُختك؟))، قال: لا، قال: ((فبابنتِك؟))، قال: فلم يزَل يقُولُ بكذا وكذا، كُل ذلك يقُولُ: لا، فقال لهُ النبي - صلى اللّه عليه وسلم-: ((فاكرَهْ ما كره اللّهُ، وأحِبَّ لأخيك ما تُحب لنفسك))، قال: يا رسُول اللّه، فادعُ اللّهَ أن يُبغِّض إلي النساءَ، قال النبي -صلى اللّه عليه وسلم-: ((اللهُم بغِّضْ إليه النساءَ)).

قال: فانصرف الرجُلُ ثُم رجع إليه بعد ليالٍ، فقال: يا رسُول اللّه، ما من شيءٍ أبغض إلي من النساء، فأذِنْ لي

بالسياحة، فقال النبيُّ -صلى اللّه عليه وسلم-: ((إن سياحةَ أمتي الجهادُ في سبيل اللّه))، فانظر تواضعَ النبي -صلى اللّه عليه وسلم- كيف أثره الجميل على الرجل؟!

وكذلك كلما كان المتحدث متقعرًا متشدقًا في القول، متعاليًا فرِحًا فخورًا به، كان أبعدَ عن قلوب السامعين فكرته وأوهن حجته؛ قال اللّه: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [لقمان: ١٨]

"وكيف يوفَّقُ مَن لا يحبُّه اللّه، وأنى له الحكمة"، (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) [لقمان: ١٩].

فبما أن القدرات العلمية تختلف من شخص لآخر، فحريٌّ وجميل بالذي عنده علم أن يرحَمَ ويعطف على من دونه في العلم عند الحوار، لا يتعالى عليه فينفر منه ويبتعد عنه، وليتذكر قول اللّه: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) [يوسف: ٧٦].

٣ - لا بد للمحاور الناجح أن يتقن فن الاستماع، فكما أن للكلام فنًا وأدبًا، فكذلك للاستماع فن، فليس الحوار من حق طرف واحد يستأثر فيه بالكلام دون محاوره، ففرق بين الحوار الذي فيه تتبادل الآراء، وبين الاستماع إلى خطبة أو محاضرة.

وتأمل ذلك الحوار الذي دار بين الحبيب محمد وعتبة بن ربيعة، وكان عتبةُ بن ربيعة سيدًا حليمًا، وفي يوم وهو جالس في نادي قريش كان رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- جالسًا وحده في المسجد، قال: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى هذا فأكلمه، فأعرض عليه أمورًا؛ لعله أن يقبل بعضَها، فنعطيه إياها شاء، ويكف عنا، فقالوا: بلى، فقُمْ يا أبا الوليد، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- فقال: يا أخي، إنك منا حيث قد علِمْتَ من السعة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيتَ قومك بأمر عظيم، فرَّقْتَ به جماعتَهم، وسفَّهت به أحلامهم، وعِبْتَ به آلهتهم ودِينَهم، وكفَّرْتَ مَن مضى مِن آبائهم، فاسمع مني، أعرض عليك أمورًا تنظر فيها؛ لعلك أن تقبل بعضها، فقال رسولُ اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- معلم البشرية الأدب: قل يا أبا الوليد أسمع، (ثم انظر كيف كان أثر ذلك في أبي الوليد).

فقال: يا بن أخي، إن كنتَ إنما تريد بما جئت من هذا القول مالاً، جمَعْنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرَنا مالاً، وإن كنتَ تريد مُلكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئيًا ولا تستطيع أن تردَّه عن نفسك، طلَبْنا لك الطبيبَ، وبذلنا لك فيه أموالنا حتى نبرئك منه؛ فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوَى منه، أو لعل هذا الذي تأتي به شعر جاش به صدرك، وإنَّكم -لعمري- يا بني عبد المطلب تقدرون منه على ما لا يقدِرُ عليه أحد، حتى إذا سكت عنه، ورسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- يستمع منه، فقال رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم-: ((أفرَغْتَ يا أبا الوليد؟))، قال: نعم، قال: فاسمَعْ، قال عتبة: أفعَلُ، فقال رسولُ اللّه -صلى اللّه عليه وسلم-: بسم اللّه الرحمن الرحيم (حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا) [فصلت: ١ - ٣]، فمضى رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- فقرأها عليه، فلما سمعها عتبة أنصَت له، وألقى بيده خلف ظهره معتمدًا عليها يسمع منه حتى انتهى رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- للسجدة، فسجَد فيها، ثم قال: قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ فأنت وذاك، فقام عتبةُ إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلِفُ باللّه لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي أني واللّه قد سمعتُ قولاً ما سمعتُ بمثله قط، واللّه ما هو بالشِّعر، ولا

بالسِّحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها في، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه -أصبح يدعو إلى الإسلام- واعتزلوه؛ فواللّه ليكوننَّ لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تُصِبْه العربُ فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهَرْ في العرب فمُلكُه ملككم، وعزُّه عزكم، وكنتم أسعدَ الناس به، قالوا: سحَرك واللّه يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأيي لكم.

٤- العلم شرط أساسي لنجاح الحوار وتحقيق غايته، وبدونه يصبح الحوار هشّا لا فائدة منه إلا إهدار الوقت، وضياع الجهد.

فيجبُ على المحاور ألا يناقش في موضوع لا يعرفه، وليس له علم به، ولا يدافع عن فكرة لم يقتنع بها، فإن فعل فإنه يسيء إلى الفكرة والقضية التي يدافع عنها وهو لا يشعر، بل ويعرِّض نفسَه للإحراج وعدم التقدير والاحترام.

يؤكد على ذلك المعنى المناظرة التي دارت بين المشركين ورب العالمين في سورة الأنعام، فدائمًا ما يحتجُّ مَن لا علم له بأقدار اللّه المكتوبة على معصيتهم وفعلهم الشر، ويقولون: قدر اللّه علينا ذلك، وينسون أن اللّهَ أعطى لنا إرادة حرة فقال: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) [الكهف: ٢٩].

قال اللّه: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ) - هنا يحتجُّ المشركون أن اللّه راضٍ عن إشراكهم في العبادات وتحريمهم الطيبات - (كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)
والمعنى: هل أوحى اللّه إليكم أنه راضٍ عن فعلكم القبيح حتى تقولوا ما تقولون، بل أكبر دليل على أن اللّه لا يرضى فعلكم تعذيبُه إياكم، وعدم توفيقه إياكم إلى الهداية؛ فلعدم علمهم أفسَدوا حجَّتَهم - (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩].

إذًا فلا بد من العلم قبل القول، فليس من العيب أن يقول الرجل: اللّه ورسوله أعلم، وإنما العيب كل العيب أن يتكلَّمَ الرجل ويبديَ رأيه فيما لا يعلم.

٥- إن الحوار الناجح -إخواني- هو الذي ينبني على أدلة وبراهين صحيحة عقلية واقعية، فهيهات هيهات للاستجابة إلى أدلة ظنية ليس لها على أرض الواقع حقيقة، أو شائعة لا يعلم مصدرها، أو مجهول بين الناس قائلها، وعلى هذا كم أفسدت الشائعات فيما بيننا، وكم مزقت برامج "التوك شو" بيوتنا؛ لِما فيها من الكذب والحوار الذي ينبني على أدلة ظنية واهية ليس فيها من الصحة إلا النادر القليل، بل وكم انتُهكت أعراض على إثر تلك الشائعات، والسعي بها بين الناس من غير تثبُّت، واللّه يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) [الحجرات: ٦].

أين الظن الحسن في عباد اللّه المصلين المؤمنين؛ فالأصل -إخواني- في المسلم حُسن الظن، حتى يتبين خلافه بدليل قطعي؛ قال اللّه للمؤمنين مؤنِّبًا في حادثة الإفك: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) [النور: ١٢].

هدانا اللّه وإياكم إلى ما فيه رضاه، وأستغفر اللّه.

الخطبة الثانية:

الحمد للّه، هادي المؤمنين، والصلاة والسلام على معلم البشرية أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين.

أما بعد - إخواني - فكما أن للحوار آدابًا تُعِين للوصول إلى الحق، فكذلك هناك عوائق للحوار تمنع المتحاورين من الوصول إلى نتيجة في آخر حوارهما.

ومدار تلك العوائق - إخواني - على اللسان؛ فإن للسان سقطاتٍ، وللكلام زلات، والمسلم مأمور بحفظ لسانه، كما أنه مأمور بطيب كلامه، فلأنْ يقول المرءُ خيرًا فيغنم، خير له من أن يقول شرًا فيأثم، ولقد قال - عليه الصلاة والسلام -: ((وإن العبد ليتكلَّمُ بالكلمة لا يُلقي لها بالاً من سخط اللّه، يهوي بها في النار سبعين خريفًا)).

وقال -صلى اللّه عليه وسلم- لمعاذٍ: ((أمسِكْ عليك لسانَك))، فقال: يا رسول اللّه، وَإنَّا لمؤاخَذون بما نتكلم به؟ فقال -صلى اللّه عليه وسلم-: ((ثكِلَتْك أمك يا معاذ، وهل يكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلا حصائدُ ألسنتهم)).

وعلى هذا لا بد للمحاور أن يكون حذرًا عند تكلمه وخطابه، أقول: من هذه العوائق:

١- اختيار الألفاظ والمعاني التي تقود إلى الجدل، وتستثير الفتن والمشكلات؛ كلفظ: غبي، وجاهل، ومنافق، فالذي يريد ألَّا يُتَّهم بالجهل أن يبتعد كلَّ البعد عن تلك الألفاظ؛ لأن عبادَ اللّه يتأذَّوْن من تلك الألفاظ، فعندما يسمعونها يقطعون الحوار مباشرة؛ استجابةً لأمر اللّه: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٢- إظهار التفاصح والتشدق في الكلام تيهًا على الآخرين واستعلاء، وعن جابر - رضي اللّه عنه -: أن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم- قال: ((إن من أحبِّكُم إليَّ، وأقربكُم منِّي مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكُم أخلاقًا، وإنَّ أبغضَكُم إليَّ وأبعدكُم منِّي يوم القيامة: الثَّرثارُون والمُتشدِّقُون والمُتفيهقُون))، قالوا: يا رسول اللّه، قد علمنا ((الثَّرثارُون والمُتشدِّقُون))، فما المُتفيهقُون؟ قال: ((المُتكبِّرُون))؛ رواه الترمذي، وقال: "حديث حسن".

((الثَّرْثَارُ)): هو كثيرُ الكلام تكلُّفًا، و((المتشدِّقُ)): المُتطاوِلُ على النَّاسِ بكلامِه، ويتكلَّمُ بملء فيه تفاصُحًا وتعظيمًا لكلامِه، و((المُتفيْهق)): أصله من الفَهقِ، وهو الامتلاءُ، وهو الَّذي يملأ فمه بالكلام ويتوسَّع فيه، ويُغْرِبُ به؛ تكبُّرًا وارتفاعًا، وإظهارًا للفضيلةِ على غيره.

وروى الترمذي عن عبداللّه بن المباركِ - رحمه اللّه - في تفسير حُسْنِ الخُلُقِ، قَالَ: "هو طَلاقةُ الوجه، وبذلُ المَعروف، وكَفُّ الأذى".

٣- الغيبة: فإن المُناظر لا ينفك عن الحكاية عن خصومه ومذمتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

٤- الكذب: ربما لا يقدر المُناظِرُ على محاورة خَصمه، فيلجأ إلى الكذب عليه، فينسبه إلى الجهل والحماقة، وقلة الفهم، تغطية لعجزه، فيقع في الكذب؛ عن ابن مسعودٍ قال: قال رسولُ اللّه -صلى اللّه عليه وسلم-: ((إن الصدقَ يهدي إلى البِرِّ، وإن البِرَّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل لَيصدُقُ حتى يُكتَب عند اللّه صِدِّيقًا، وإن البِرَّ يهدي إلى الفجور، وإن الفجورَ يهدي إلى النار، وإن الرَّجلُ لَيكذِبُ حتى يُكتَب عند اللّه كذابًا)).

٥- تزكية النفس والثناء عليها بالقوة والغلبة والتقدم على الأقران، واللّهُ يقول: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢]، بل إن اللّه يحبُّ العبدَ التقيَّ الخفيَّ؛ كما في الحديث.

٦- الاستئثار بالكلام دون الطرف الآخر، والإطالة الزائدة عن حدها، وعدم مراعاة الوقت في أثناء الكلام.

٧- اللوم المباشر عند وضوح خطأ الطرف الآخر، كقوله: "أخطأتَ"، "سأُثبِتُ لك أنك مخطئ جاهل"، ونحو ذلك مما يجرح الطرف الآخر.

٨- رفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع، ففي ذلك رعونة وإيذاء.

٩- الهزء والسخرية، وكل ما يُشعر باحتقار الطرف الآخر.

١٠- استعمال الألفاظ الغريبة، والأساليب الغامضة، والعبارات المحتملة؛ تلبيسًا على الطرف الآخر، وتمويهًا للحقيقة، إلى غير ذلك من المحذورات التي يجب على المحاور أن يبتعدَ عنها.

فإن توصل المتحاوران إلى نقطة توافق، فالحمدُ للّه رب العالمين، وإلا فلا ينبغي لهم أن يتجادَلا؛ فهذا حتمًا يُفسِد ما بينهما؛ لهذا قال: ((أنا زعيم في الجنة لِمَن ترك الجدَل ولو كان محقًا)) جميل أن يختم الحوار على صورة من اثنتين:

إما أن يعترف طرف للآخر أن صاحبه على صواب، وهو كان على خطأ، وهذه الحالة تدلُّ على علو ثقافة المتحاورين عامة، وأدب المعترف بالخطأ خاصة؛ إذ إنه كان من الممكن أن يتعالى ولا يُظهِر أنه كان على باطل، ولكن لما كان الإخلاصُ سجيتَه اعترف بالحق، فيرحم اللّهُ مَن شأنُه ذلك إذ استجاب لأمر اللّه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

وإما أن ينتهي بعدم انقياد طرف لآخر، وهنا يحسُن أن يختم الحوار كما ختمه إبراهيم الخليل مع أبيه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١ - ٤٩].

وإما ألا يتوصَّل الطرفان إلى حل محايد، وعند ذلك يحسن بهما أن يكِلَا علم الصواب والحق للخالق رب العالمين، فيقولا: اللّه أعلم، ونعم تلك الخاتمة خاتمة الأنبياء: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٥، ٢٦]

يعني: لنا يوم يفصل اللّهُ فيه بيننا، وكم من مرة قال اللّه ذلك في كتابه، إنه سيفصل بين العباد فيما كانوا فيه يختلفون.

فإن لم يُختَمِ الحوارُ - إخواني - بصورة من تلك الصور كان جدالاً لا حوارًا، وقد جاء عن أبي أمامةَ -رضي اللّه عنه- قال: قال رسولُ اللّهِ -صلى اللّه عليه وسلم-: ((ما ضلَّ قومٌ بعد هدًى كانوا عليه، إلَّا أوتُوا الجدلَ))، ثُمَّ تلا رسولُ اللّهِ -

صلى الله عليه وسلم- هذه الآية: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [الزخرف: ٥٨].

الألوكة

المصادر: